تقـديم

بقلـم ناعـوم تشومسكى

التاريخ، خاصة التـاريخ القريب، تم تقديمه بشكل «خاص» إلى العامة فى إطار نظام عـقـائدى يقـوم على أسـاس بعض المذاهب الجـوهرية. فى حـالة المجتمعات الشمولية، المسألة واضحة وضوحا كبيرا لا تحتاج الى تعليق. ولكن بالنسبة للمجتمعات التى لا تمارس أشكالا فجة من القمع والسيطرة العقائدية، يصبح الوضع محيرا. فعلى سبيل المثال، تعتبر الولايات المتحدة إحدى أقل المجتمعات قمعا فى التاريخ الماضى والحاضر فيما يتعلق بحرية التحقق والتعبير. وبرغم من ذلك، فان من النادر أن يصل تحليل الأحداث التاريخية الحاسمة إلى أكبر عدد من الجمهور إلا إذا كانت متطابقة لمذاهب دينية محددة.

«تبدأ الولايات المتحدة دائما بالنوايا الحسنة». بتلك التعويذة الشعائرية، يمكن لشخص ليبرالى ينتقد سياسة التدخل الأمريكى، أن يدخل منطقة الحوار المسموح به، من الأفكار التى يمكن التفكير فيها (فى تلك الحالة، هو ويليام بفاف، فى مقاله «عقاب سياسة التدخل»، التى نشرت فى صحيفة الهيرالد تريبيون، فى فبراير عام ١٩٧٩). ومن أجل قبول العقيدة، فإن على المرء الذى لا يستطيع تحمل أكثر من درجة معينة من التناقضات الداخلية، أن يتجنب بإصرار السجل الوثائقى، الذى يتوفر بتوسع فى المجتمع الحر، على سبيل المثال، سجل التخطيط على أعلى مستوى الذى تعرضه أوراق البنتاجون، خاصة سجلات السنوات الأولى للتورط الامريكى فى الأربعينات وبداية الخمسينات، عندما كان يتم

تطوير وتشكيل الخطوط العريضة الأساسية للاستراتيجية. وعادة يمكن الاعتماد على المثقفين فى المهن الأكاديمية والإعلام من أجل تضيق الفجوة؛ هؤلاء سوف يرفضون الإذعان لتحليل المذاهب الدينية تحليلا نقديا، أو لشذب السجلات التاريخية والوثائقية بحيث يتم حماية تلك المذاهب من الاختبارات، والعمل على تقديم تصور للتاريخ يخلو من النقد أو التحليل المؤسسى. ويتم الخروج عن التشدد من وقت لآخر، ولكن بشكل نادر طالما أن هذا الخروج يتم داخل دوائر محدودة يمكن تجاهلها، أو استبعادها على إنها «غير مسئولة» أو «ساذجة» أو «فاشلة فى فهم تعقيدات التاريخ»، أو يتم تعريفها بشكل مختلف مع كلمات سرية مألوفة خارج كل نطاق.

برغم أن العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة لم تكن خالية، تمامًا، من الصراع، فإنه ما من شك فى أن بينهما، كما يقال كثيراً، «علاقة خاصة». ذلك واضح على المستوى المادى، كما يمكن أن نقيسه بتدفق رأس المال والأسلحة، أو نقيسه بالدعم الديبلوماسى، أو بالعمليات المشتركة، مثلما فعلت إسرائيل عندما تحركت للدفاع عن مصالح أمريكا الحيوية فى الشرق الأوسط، خلال أزمة عام ١٩٧٠، والتى كانت تتضمن الأردن وسوريا والفلسطينيين. تظهر العلاقات الخاصة أيضا على مستوى العقيدة. ومرة أخرى، ومع استثناءات نادرة، يجب على المرء أن يتبنى بعض المذاهب الدينية من أجل الدخول فى حلقة الحوار، على الأقل أمام أى شريحة مهمة من المواطنين.

العقيدة الأساسية هى أن إسرائيل كانت ضحية سيئة الحظ للإرهاب ولهجمات عسكرية ولكراهية حقودة ولاعقلانية. من العادة أن نجد محللين سياسيين أمريكيين لديهم معلومات قوية، يكتبون أن إسرائيل تعرضت لهجوم من جيرانها، أربع مرات، بما فى ذلك فى عام ١٩٥٦. وأحيانا يتم توبيخ إسرائيل لردها على الهجمات الإرهابية، وهو رد فعل يعتبر خطأ، وإن كان مفهوما. أما القناعة بأنه قد يكون لإسرائيل دور حيوى فى بدء وديمومة العنف والصراع، فذلك يتم التعبير عنه، إذا تم، بعيدا عن الاتجاه السائد. فى عمل أقدر من معظم

الأعمال الأخرى، قام به ناداف سافران، فى جامعة هارفارد، حول خلفيات حرب عام ١٩٥٦، يشرح ناداف أن ناصر «بدا عاقداً العزم على تعبئة كل موارد مصر العسكرية وقيادة الدول العربية فى هجوم على إسرائيل». كانت الغارة الإسرائيلية على غزة، فى فبراير عام ١٩٥٥ «عملية ثأرية» ضد إعدام المخربين الإسرائيليين شنقًا فى مصر؛ ويقول سافران أنه بعد ست سنوات فقط، اكتشف أن هؤلاء كانوا بالفعل عملاء إسرائيليين. كانت الخلفية المباشرة للصراع توصف على إنها غارات إرهابية يقوم بها الفدائيون، وان إسرائيل تقوم بالرد عليها. الإرهاب الذى نظمته المخابرات المصرية «أسهم بشكل أكيد فى قرار إسرائيل بالدخول فى حرب عام ١٩٥٦ وكان السبب الرئيسى فى رفض إسرائيل الانسحاب من قطاع غزة» (إسرائيل ـ الحليف المحارب، كامبريدج: مطابع جامعة هارفارد، ١٩٧٨).

من أجل التمسك بمثل تلك العقائد، أو تحليل واقعة بعينها تتطابق معها، من الضرورى أن تجنب بدقة، الوثائق الجوهرية. فى الدراسة التى قام بها سافران، وكتبها فى ٦٠٠ صفحة، لم يستخدم أى من المصادر الرئيسية مثل اليوميات التى تعرضها ليفيا روكاش هنا، وهى اليوميات التى نشرت بعض أجزائها المهمة وذات العلاقة، فى إسرائيل عام ١٩٧٥. كذلك من الضرورى تجنب استخدام أى من المصادر، التى قد تضعف تلك التحليلات. كما أن ذلك حقيقى أيضًا فيما يخص دراسة الآداب والصحافة بشكل عام.

تعتبر مذكرات أو يوميات موسى شاريت، والتى كرست لها ليڤيا روكاش دراستها، تعتبر بما لا يدعو للشك، مصدراً وثائقيًا أساسيًا. تلك اليوميات تبقى خارج «التاريخ الرسمى» ـ هذه النسخة من التاريخ التى تصل إلى أكثر قليلا من عدد محدود من القراء، الذين يشعرون بعدم الرضا تجاه الفكر التقليدى. من المنطقى أن نتوقع أن ذلك سيبقى حقيقة فى الولايات المتحدة طالما أن «العلاقات الخاصة» مستمرة. ولكن، على الجانب الآخر، فيما لو كانت إسرائيل حليفًا للاتحاد السوفييتى، فإن ما كشف عنه شاريت كان سيتحول بسرعة الى معلومات عامة.

obeikandi.com

عندما ندرس عملية تشكيل السياسات فى أى دولة، من العادة أن نجد انقسامًا واضحًا بين المواقف المتشددة التى تدفع إلى استخدام القوة والعنف من أجل تحقيق أهداف الدولة، وبين توجهات «أكثر ليونة» تدعو الى الديبلوماسية أو الوسائل التجارية من أجل تحقيق نفس الأهداف ـ التمييز بين «البروسيين» و«التجار»، وهى التعبيرات التى اقترحها مايكل كلير فى كتابه عن السياسة الخارجية الأمريكية. الأهداف هى واحدة فى الأساس؛ ولكن الإجراءات المطلوب اتخاذها هى التى تختلف، على الأقل الى حد ما، وذلك واقع يمكنه فى النهاية أن يثقل على طبيعة الأهداف التى نسعى اليها. كان شاريت من دعاة التوجه «المعتدل». ولقد عكست هزيمته فى السياسات الإسرائيلية الداخلية صعود مواقف بن جوريون ودايان وآخرين، لم يترددوا فى استخدام العنف للوصول الى أهدافهم. إن يوميات شاريت تكشف بوضوح عن صورة الصراع الذى يتطور، كما يراه هو، وتقدم فهمًا واضحًا لبداية تاريخ دولة إسرائيل، مع كل العواقب التى تمتد إلى الحاضر، وما بعده. لقد قدمت ليفيا روكاش خدمة قيمة عندما جعلت تلك الأوراق متاحة، لأول مرة، إلى كل هؤلاء الذين يهتمون باكتشاف العالم الحقيقى الذى يقبع وراء «التاريخ الرسمى».

ناعوم تشومسكى

١ يناير/ ١٩٨٠

تمهيد للطبعة الثالثة

بقلم ن . ع

فى سعيه لتحقيق هدفه لنشر معلومات دقيقة حول الشرق الأوسط، فكر اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب، أنه من مصلحة الرأى العام نشر تلك الدراسة التى تقدم تحليلا للعلاقات الإسرائيلية العربية، فى فترة نهاية الأربعينيات والخمسينيات، فى ضوء اليوميات الخاصة لموسى شاريت[1]. لقد رأس شاريت القسم السياسى للوكالة اليهودية فى الفترة من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٤٨، ثم أصبح أول وزير خارجية لإسرائيل فى الفترة من عام ١٩٤٨ وحتى ١٩٥٦، عندما كان ديفيد بن جوريون رئيسا للوزراء، ثم أصبح رئيسا للوزراء عامى ١٩٥٤ و١٩٥٥ .

عندما نشر هذا الكتاب لأول مرة، قبل خمس سنوات، (١٩٨٠)، وقعت عدة أحداث كان من شأنها التأكيد على أهميته المستمرة. ورغم أن هذا العمل يركز أساسا على الأحداث التى وقعت فى الخمسينيات، فإن أن له أهمية تاريخية أكبر من ذلك. وبالفعل، فإن المعلومات التى يقدمها توضح أن سجلات الربع قرن الماضى، كان من السهل توقعها؛ والأسلوب الجديد الوحيد هو الشراسة التى استخدمتها الاستراتيجية الصهيونية فى الخمسينيات وخلال الحقب التالية. إذ لم تعد الحركة الصهيونية، تشعر أنها مضطرة لإخفاء نواياها الحقيقية. تدفعها تحالفاتها الإقليمية مع حزب الكتائب والعناصر اليمينية الأخرى فى جنوب لبنان، وعلاقتها الخاصة مع الولايات المتحدة، تدفعها مثل قوة هائلة تسحق كل ما يعترضها، فى سعيها نحو أهداف إمبريالية.

obeikandi.com

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عندما كان الشرق الأوسط والولايات المتحدة مشغولين بالمفاوضات المصرية الإسرائيلية التى قادت إلى اتفاقيات كامب ديفيد فى عام ١٩٧٨ ، والمعاهدة المصرية الإسرائيلية فى مارس عام ١٩٧٩ ، والغزو الإسرائيلى لجنوب لبنان فى مارس عام ١٩٧٨ . وبالتالى ، فإن صيغة كامب ديفيد لم تفشل فى تحقيق تسوية شاملة فحسب ، كما تعهد الرئيس جيمى كارتر ، بل أسهمت أيضا فى الغزو الإسرائيلى الثانى للبنان ، فى يونيه عام ١٩٨٢ . فمن خلال تحييد مصر ، سمحت المعاهدة المصرية ـ الإسرائيلية لإسرائيل بالتقدم ، بثقة ، بخططتها من أجل كسر مقاومة الفلسطينيين والقضاء على الهوية القومية الفلسطينية تمامًا ، وذلك بهدف استمرار احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة ، وهضبة الجولان . اليوم ، القضية الفلسطينية أبعد من الحل السلمى والعادل عنها فى أى وقت آخر مضى ، بينما لا تزال لبنان تعانى من النزيف والانقسام عبر خطوطها المذهبية .

لقد فشلت اتفاقيات كامب ديفيد وخطة ريجان التالية التى قدمت فى سبتمبر عام ١٩٨٢ ، بسبب ذرائع خاطئة حول «أمن» إسرائيل وتهديدات العرب لأمنها . ولقد أدت التطورات الأخيرة فى المنطقة إلى كشف مشاركة إدارة ريجان فى غزو إسرائيل للبنان ، فى عام ١٩٨٢[٢] ، وهو الغزو الذى تم حسابه بدقة لكى يقدم نتائج تقدر بأنها مفيدة لكل من المصالح الاستراتيجية الأمريكية ، والأهداف التوسعية الإسرائيلية . لقد تضافرت مصالح إدارة ريجان وحكومة الليكود الإسرائيلية حول ثلاثة أهداف : تدمير البنية التحتية فى لبنان ، وإعادة رسم الخريطة السياسية فى لبنان ، وخفض حجم سوريا إلى نسب يمكن التعامل معها . كان لابد أن يتحقق السلام الأمريكى والسلام الإسرائيلى من خلال حملة ، تم تسميتها بشكل ساخر «السلام من أجل الجليل» .

لقد كانت «عملية» عام ١٩٨٢ ، مثل سابقتها ، «عملية الليطانى» لعام ١٩٧٨ ، جزءا من الاستراتيجية الصهيونية القديمة الخاصة بلبنان وبفلسطين ، والتى توضحها يوميات شاريت . فى الواقع ، تلك الاستراتيجية ، التى تم صياغتها

وتطبيقها خلال الخمسينيات، تم التفكير فيها قبل هذا التاريخ بأربعين عامًا على الأقل، ولا تزال محاولات تنفيذها مستمرة حتى بعد مرور ثلاثين عامًا. ففى ٦ نوفمبر عام ١٩١٨، قدمت لجنة من مسئولى الانتداب البريطانى والزعماء الصهاينة، خريطة توضح الحدود الشمالية المقترحة لفلسطين اليهودية «من شمال نهر الليطانى وحتى بانياس». فى العام التالى، وفى مؤتمر السلام بباريس، اقترحت الحركة الصهيونية حدودًا من شأنها أن تضم إليها مقاطعة بنت جبيل اللبنانية، وكل الأراضى التى تمتد حتى نهر الليطانى. ولقد شدد الاقتراح على «الأهمية الحيوية للسيطرة على كل ثروات المياه من مصادرها»[٣].

خلال مؤتمر باريس، حاول كل من حاييم وايزمان، وديفيد بن جوريون (اللذان أصبحا فيما بعد أول رئيس، أول رئيس وزارة لدولة إسرائيل) إقناع البطريرك الحويّك، الذى رأس الوفد اللبنانى، بأن يتنازل عن جنوب لبنان مقابل وعد بتقديم مساعدات تقنية ومالية لتطوير المنطقة وحتى الشمال، والتى كان أملهما أن تصبح دولة مسيحية.

احتلت القوات العسكرية الصهيونية التى غزت فلسطين فى عام ١٩٤٨، جزءا من إقليم مرجعيون وبنت جبيل، ووصلت إلى مشارف نهر الليطانى، ولكنها اضطرت إلى الانسحاب تحت ضغوط دولية. ومرة أخرى، فى عام ١٩٥٤، قام زعماء الدولة الإسرائيلية الوليدة، بتجديد المطالب الصهيونية على المياه اللبنانية عندما اقترح إيريك جونسون، المبعوث الشخصى للرئيس أيزنهاور، صيغة لتقسيم مياه الليطانى بين لبنان وسوريا وإسرائيل. ولكن فى الواقع، هددت إسرائيل باستخدام القوة ضد لبنان لمنع استخدامها لمياه الليطانى لتنمية جنوب لبنان.

فى الوقت الذى كانت إسرائيل توجه فيه تلك التهديدات، خلال الفترة التى تغطيها يوميات شاريت، فلنراجع ما الذى حدث بالفعل فيما بعد خلال الستينيات والسبعينيات والثمانينيات: فى عام ١٩٦٧، أدت الحرب الإسرائيلية

opeikangi.com

ضد ثلاث دول عربية إلى احتلال إسرائيل، ليس شرق فلسطين (الضفة الغربية)، وغزة وسيناء وهضبة الجولان فحسب، ولكنها أيضا سمحت لإسرائيل بأن تحتل مصادر نهرى الأردن وبانياس. بالإضافة إلى قيام إسرائيل بتدمير قناة الغور الشرقية بالأردن وسد خالد على نهر اليرموك، الذى يتدفق إلى قنوات نهاريا. وفى عام ١٩٧٨ وخلال «عملية الليطانى»، فرضت إسرائيل سيطرتها الصارمة على نهر الوزانى، الذى يتدفق إلى الأردن، كما سيطرت على معظم نهر الحاصبانى. وفى عام ١٩٨٢، وعبر «عملية السلام من أجل الخليل»، صار كل نهر الليطانى تحت سيطرة إسرائيل.

لن يتم تحقيق هدف تغيير جوهرى، توزيع المياه فى المنطقة، إلا من خلال إطار وجود دولة لبنانية تابعة، فيها حكومة ضعيفة، وهى محاولة يتحدث عنها كثيراً شاريت فى يومياته (صفحة ٢٢). وفى الواقع، فإن خطة بن جوريون، التى وضعها فى عام ١٩٥٤ لإقامة مثل تلك الحكومات الضعيفة الموالية لهم، وهى الخطة التى تبناها موشيه دايان بحماس، تم تنفيذها بعد ربع قرن تقريبًا. فقد ظهر «الضابط» الذى أراده دايان بالفعل، بل كان يحمل أيضًا نفس الرتبة العسكرية «ميجور»، الميجور سعد حداد، الذى شجعته إسرائيل على إعلان الانفصال عن لبنان فى أبريل عام ١٩٧٩، وأعلن عيزرا وايزمان، وزير الدفاع الإسرائيلى، دعم حكومته لمقاطعة حداد التى أطلق عليها «لبنان الحر»: «إننى أعتبر حداد وطنيًا لبنانيًا، وحسب معلوماتى، فإنه يريد أن تصبح بيروت عاصمة لبنان حر ومستقل مرة أخرى، بدون تدخل من السوريين أو الفلسطينيين»[٤]. كما أعلن السياسيون اللبنانيون من الجناح اليمينى مساندتهم لحداد، وضمنيا مساندة تحالف كتائبى ـ صهيونى. فقد أعلن كميل شمعون «إننا بحاجة لمثل هذه القوات اللبنانية لكى نناضل فى الجنوب من أجل تحرير لبنان، وليس جزءا من لبنان، وسعد حداد ليس خائنًا»[٥].

لكن «الدويلة» وكيلة الصهيونية، التى أقيمت داخل شريط حدودى لا يتعدى ستة أميال عرضا وستين ميل طولا، رفضها المجتمع الدولى. وتم انتداب قوات

أمم متحدة، قوات فاصلة تابعة للأمم المتحدة فى لبنان (يونيفل)، للمساعدة فى إعادة توطيد سلطة الحكومة اللبنانية المركزية على الجنوب. ولكن إسرائيل تحدت قرار الأمم المتحدة الخاص بذلك (وهو القرار الذى ساندته حتى إدارة كارتر) واستمرت بإصرار فى مساندة حداد. بعد الاتفاق الذى تم فى مارس عام ١٩٨١ بين رئيسى سوريا ولبنان، من أجل إعادة توطيد، بالتعاون مع يونيفل، سلطة حكومة بيروت فى الجنوب، قامت ميليشيات إسرائيل وحداد بقصف مواقع يونيفل، وقتلت ثلاثة جنود نيجيريين (١٦ مارس عام ١٩٨١).

لقد اتخذت محاولات إسرائيل لزعزعة الاستقرار فى لبنان، فى سعيها لإقامة دولة عميلة يسيطر عليها المارونيون، عدة أشكال، إذ تراوحت ما بين نقل صيغة كامب ديفيد إلى لبنان، إلى القيام بعملية غزو شاملة فى عام١٩٨٢. وفيما يخص فرض حل كامب ديفيد على لبنان، قدم مناحم بيجين بيانًا إلى البرلمان الإسرائيلى فى ٧ مايو عام ١٩٧٩، دعا فيه لبنان إلى الدخول فى مفاوضات مع إسرائيل على أساس انسحاب السوريين وطرد الفلسطينيين من لبنان. ولقد أثار هذا العرض ردًا حماسيًا من بشير الجميل، قائد القوات اللبنانية «الذراع العسكرى لحزب الكتائب»، الذى أبلغ صحيفة مانداى مورنينج فى بيروت يوم ٢٨ مايو عام ١٩٧٩:

«هذه المبادئ جيدة، ويجب قبولها لأنها أساس أى محاولة لبنانية للوصول إلى حل؟ لقد قبل الرئيس السادات مقترحات مماثلة، وهو الآن يقود مصر إلى عصر من الرفاهية والثراء. متى سيسمح للبنان أن يكون له الحق فى أن ينشد رفاهيته؟»

أضاف الجميِّل الأب، بيير، قائلاً:

«قد تقولون إننى أدافع عن السادات كما دافعت عن سعد حداد؛ يا عزيزى، إن لم أدافع عن وجهة نظرى، لكنت جبانًا وبلا كرامة» (السفير، ٢ أغسطس ١٩٧٩).

كان من الواضح أن الهجوم الإسرائيلى ضد لبنان فى عام ١٩٨٢ كان يهدف

إلى التأكيد على تلك التحالفات بين إسرائيل و «الميجور» فى الجنوب، ومع آل الجميل وشمعون فى الشمال ـ وكل ذلك فى محاولة لتأمين عملية بلقنة وتحويل لبنان لتكون تابعا، ومحو القومية الفلسطينية، وتخويف سوريا. ومن أجل تحقيق تلك الأهداف، كان الزعماء الإسرائيليون على استعداد لأن يخاطروا بشن حرب إقليمية واسعة، ودفع العالم، بكل تأكيد، إلى ما يعتبر من كل النواحى، وضعا «سابقًا على حرب نووية». هذا وحده يمكن أن يعطى الشعب الأمريكى سببا للقلق والتحرك. بالإضافة إلى ذلك، فقد قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل الإمكانات الاقتصادية والعسكرية من أجل غزو لبنان، وقصف بغداد، والتأكيد على استمرارية احتلال الأراضى الفلسطينية والسورية، فى انتهاك واضح للقوانين الأمريكية، بما فى ذلك قانون الحد من تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦، واتفاقية الدفاع المشترك بين إسرائيل والولايات المتحدة لعام ١٩٥٢ .

أدى اجتياح إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ إلى أن يميل الميزان لصالح حلفاء إسرائيل اللبنانيين إلى حد أن الغالبية من المسلمين، والقوميين وبعض الجماعات الأخرى المعادية لإسرائيل، باتت فى وضع خضوع حقيقى. وقام المنتصر بإملاء شروطه على المنهزم. بشير الجميل، الحليف الجديد لإسرائيل، يجب أن يصبح رئيسًا/ مبعوث لبنان، رغم أن، حسب قول الصحفى الأمريكى جوناثان راندال(٦)، بشير نفسه شكا وهو الذى يدين بالرئاسة إلى كل من بيجين وشارون، من أن هذين الاثنين يعاملانه على أنه «تابع». وأصبحت اتفاقية شولتز التى عقدت فى ١٧ مايو عام ١٩٨٣، بمثابة فرساى الدولة اللبنانية، التى قد تحقق الحلم الصهيونى القديم الذى وصفه شاريت فى يومياته بالدولة «المسيحية» التى ستتحالف مع إسرائيل.

رغم مقتل الرئيس المنتخب بشير الجميل قبل توليه الرئاسة، فإن الأمور الأولية تطورت، بما يتناسب مع استراتيجية إسرائيل فى لبنان. فقد بدا أن المفاوضات التى نظمها المدنيون من وزارة الخارجية فى الدولتين، تتجه نحو التطبيع على خط كامب ديفيد؛ وقامت إسرائيل بتأمين مكتب اتصالات فى بيروت، وهى الخطوة

openkamali.com

الأخيرة قبل إقامة سفارة؛ وبدأ حزب الكتائب ونجل زعيمه، أمين الجميل، الذى أصبح رئيسا للبنان، إعادة تشكيل البلاد كما يتصورها. ولكن بسرعة، أصبح واضحًا أن الهيمنة المذهبية، والتى تدعمها إسرائيل وتساندها الولايات المتحدة، ستكون بديلا ضعيفا حتى للنظام الطائفى العتيق لعام ١٩٤٣، ومع حلول خريف عام ١٩٨٣، أجبرت القوات الإسرائيلية على الانسحاب جنوب نهر الليطانى. وفى فبراير عام ١٩٨٤، أمر الرئيس ريجان القوات الأمريكية بالانسحاب، بينما دخل المقاتلون من الدروز والشيعة دخول المنتصرين إلى بيروت (١٠ فبراير عام ١٩٨٤). وأجبرت الظروف السياسية والعسكرية الجديدة، الرئيس أمين الجميل، الذى يدين بالرئاسة إلى الغزو الإسرائيلى، إلى رفض اتفاقية شولتز (مارس ١٩٨٤) وإغلاق «مكتب اتصالات» إسرائيل فى بيروت (يوليه من نفس العام).

الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢، لم يفشل فقط فى تحقيق كل أهدافه فحسب، ولكنه دفع بالقوات اللبنانية اليمينية إلى وضع متاخم للفاشية، وجعل إعادة الوحدة والاندماج احتمالا بعيدا. كما أججت الحرب الأهلية اللبنانية التى كلفت البلاد تكاليف غير محتملة من حياة البشر ومن الممتلكات.

تجبرنا المأساة الإنسانية تلك على اختبار المنطق الإسرائيلى الخاص بالـ «أمن»، وهو تعبير غطى، بشكل مثير للتساؤل، عددا كبيرا من الانتهاكات التى قامت بها إسرائيل ضد القانون الدولى وحقوق الإنسان ـ فى الوقت المعاصر وفى الماضى. إن علينا أن نتساءل: لماذا تغلق إسرائيل الجامعات فى الضفة الغربية وقطاع غزة وتطلق الرصاص على الطلاب فى مدرجات الدرس، وفى الشارع؟ لماذا ترحِّل الزعماء، وتطرد رؤساء البلديات؟ لماذا تقيم مستوطنات استعمارية؟ وتشجع العمليات الإرهابية التى يقوم بها المستوطنون؟ كل ذلك باسم «الأمن»؟ لماذا، عندما واجهت مقاومة شعبية عارمة ضد احتلالها لجنوب لبنان، كان رد فعل إسرائيل «القبضة الحديدية نفسها»، فنظمت غارات ضد القرى، وقامت باعتقال المدنيين، ودمرت على نطاق واسع، المنازل والممتلكات، وقامت باغتيالات، برغم أن تلك السياسة ستكون نتيجتها استعداء الشعب أكثر من أى وقت آخر.

تلقى اليوميات الخاصة لموسى شاريت الضوء على هذا التساؤل من خلال توثيق كبير، منطق وأسلوب عمل «السياسة العربية» التى انتهجتها إسرائيل خلال فترة نهاية الأربعينيات وحتى الخمسينيات. إن السياسة التى تصفها اليوميات، فى أكثر تفاصيلها الخاصة، ما هى إلا إحدى عمليات إسرائيل المقصودة للاستفزاز، تستهدف تأجيج عداء العرب وبذلك خلق مبررات من أجل العمل العسكرى والتوسع فى الأراضى. توثق سجلات شاريت تلك السياسة التى أطلق عليها «الإرهاب المقدس»، وتكشف عن أسطورة «احتياج إسرائيل للأمن»، و«الخطر العربى»، تلك الأساطير التى تعامل وكأنها حقائق مسلم بها منذ إقامة دولة إسرائيل وإلى اليوم، عندها وصل الإرهاب الإسرائيلى ضد الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وضد الفلسطينيين واللبنانيين فى جنوب لبنان، إلى مستوى لا يحتمل. يزيد الأمر وضوحا من أن التغييرات الاستثنائية السكانية والجغرافية التى تحدث فى المجتمع الإسرائيلى فى الجيل الحالى، لم تحدث كنتائج عرضية لمحاولات حماية «أمن إسرائيل» ضد «الخطر العربى»، ولكن حدثت نتيجة للسعى من أجل المجال الحيوى.

فى مقال للكاتب ويليام براوزر، نشرته صحيفة النيويورك تايمز فى ٥ يونيه عام ١٩٨٠، حول التفجيرات الإرهابية التى بترت سيقان اثنين من رؤساء بلديات الضفة الغربية وأصابت عدداً من المدنيين فى ٢ يونيه عام ١٩٨٠، شرح براوزر مخاوف الفلسطينيين فى الضفة الغربية، فقال: «برغم أن الاحتلال المسلح ليس أمراً جديداً عليهم، فإن الإرهاب الإسرائيلى - أن كان يمكن وصفه كذلك - ليس له مثيل على الإطلاق فى الثلاثين عام الماضية». ويتعين على السيد براوزر والقارئ المهتم بقراءة «الأخبار التى تستوجب النشر»، أن يدرس الأحداث السابقة التى تم توثيقها بشكل واسع، وانتقدها بعنف ما بين الفينة والفينة أحد رؤساء وزراء إسرائيل المترددين الذين يشعرون بالقلق من تدهور الروح المعنوية فى المجتمع الإسرائيلى فى الخمسينيات، مما أدى الى دفعهم للمطالبة بالانتقام واعتباره مبدأ «مقدس». فى الدراسة التى قدمتها روكاش، قالت نقلا عن يوميات شاريت قوله:

«فى الثلاثينيات قمنا بالسيطرة على مشاعر الانتقام. . . الآن، بالعكس، نقوم بتبرير نظام العمل الانتقامى. . . لقد أزلنا القيود الفكرية والأخلاقية التى تقوِّض تلك الغريزة وجعلنا من الممكن. . . دعم الانتقام كقيمة أخلاقية. . كمبدأ مقدس» (صفحة ٣٣).

السعادة التى لم يخفها المستوطنون اليهود فى الضفة الغربية بعد بتر سيقان اثنين من رؤساء البلديات الفلسطينيين، تعيد إلى الأذهان الشعور الذى ساد إسرائيل فى الخمسينيات وتسبب فى إثارة مخاوف شاريت بشدة، وتحدى ضميره. ففى الواقع، أيدت القوات الخاصة، التى تنظمها الآن مجموعات المراقبة اليهودية، والتى تصر على إبقاء الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين تحت سيطرة إسرائيلية دائمة، استبعاد كل العرب من فلسطين المحتلة. برغم أن هؤلاء القوميين المتشددين اعتبروا أن كلاًّ من مناحم بيجين، رئيس الوزراء الأسبق، ووزير خارجيته إسحق شامير (وهما من قادة عصابتى أرجون وشترن الإرهابيتين) أصبحا جبناء وأغبياء وخونة، وبرغم أن بيجين ندد بالهجمات على رؤساء البلديات الفلسطينيين واعتبرها «جرائم من أسوأ الأنواع»، إنه يبقى أن المستوطنين فى جوش أمونيم، وكاش ينتهجون سياسة المستوطنات التى وضعتها الحكومة الإسرائيلية. هذه الحكومة تمدهم بالحماية والمزايا الاقتصادية، وتزودهم بالشرعية. وللسبب نفسه، فإنها تضمن أن ضحاياهم سيكونوا بلا حماية وبلا سلطة. إن كلاً من مذبحة دير ياسين لعام ١٩٤٨ التى ارتكبها أرجون، التى كان يرأسها بيجين، والقصف الذى وقع، فى ٢ يونيه عام ١٩٨٠ والذى قامت به مجموعة مراقبة أخرى، ما هما إلا نتاج نوعية «الإرهاب المقدس نفسها».

شهدت الاثنان وثلاثين عامًا التى فصلت بين الحادثتين العديد من الأعمال الإرهابية الإسرائيلية. من الضرورى التذكير بعمليات القصف الجوى للبنية التحتية المدنية فى مصر وسوريا فى نهاية الستينيات[٧]، أو تدمير جنوب لبنان، فى السبعينيات والثمانينيات، أو نذكر القسوة التى يعامل بها نظام الاحتلال

الفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة، أو الاغتيالات العديدة للمفكرين والمثقفين الفلسطينيين فى عدد من العواصم الأوروبية فى بداية السبعينيات.

إن أكثر الظواهر المثيرة للقلق، والتى ستظل تكبح أى احتمالات للتعايش بين الإسرائيليين والفلسطينيين، هو صعود اليمين المتطرف فى إسرائيل. وهو فى سعيه نحو القوة المفرطة، وتصرفاته مع العرب، وازدرائه للحوار والاختلاف، لا يترك مكانا كبيرا للتعايش. يتزايد بسرعة كبيرة بين أعضاء المؤسسة السياسية، والمستوطنين اليهود تبرير أعمال الإرهاب ضد المدنيين الفلسطينيين. لقد سجل لعدد من المسئولين الإسرائيليين أمثال: يوفال نيمان، وزير العلوم والطاقة السابق، وحاييم دروكمان، عضو الكنيست، ورافائيل إيتان قائد القوات المسلحة السابق، وموردخاى إيلياهو كبير حاخامات السفارديم، أنهم يبررون هذا النوع من الإرهاب[٨]. وفى يوليه عام ١٩٨٥، تعهد إسحق شامير، وزير الخارجية، بالعمل من أجل الإفراج قبل الموعد عن الإرهابيين اليهود المدانين، والذين وصفهم بأنهم «أشخاص ممتازون ارتكبوا خطأ» (جيروزاليم بوست، ١٢ يوليه ١٩٨٥). استقر النزوع استخدام العنف ضد العرب، بشكل واضح، فى الحوارات التى أجراها الصحفيون الإسرائيليون والغربيون مع المستوطنين[٩].

يتحدث اليمين المتطرف الآن، بلا مواربة، عن نزع الملكية عن الفلسطينيين وترحيلهم. وكتب يورام بيرى، خبير علم اجتماع إسرائيلى، يقول فى دافار (١١ مايو ١٩٨٤) إنه بينما يتحدث أرنز وزير الدفاع، وشامير وزير الخارجية عن ضم الضفة الغربية وغزة، وتشكيل مجتمع «متعدد»، فإن اليمين المتطرف يدعو إلى ترانسفير (ترحيل جماعى)، وهو تعبير لم يكن يجرؤ أحد على النطق به قبل أربع سنوات. وكتب يقول: «مما يؤكد تقارب اليمين الى الفكر الفاشيستى للدولة».

عامل آخر يمنع التعايش؛ هو الأسلوب المتعجرف الذى يطالب به أعضاء المؤسسة لفرض سيادتهم على الضفة الغربية وغزة. لقد أبدى شامير، وزير الخارجية، إزدراءً كبيراً إزاء الاحتياج للجدل والإقناع، إلى حد أن رده على

سؤال عن السبب الذى من أجله تطالب إسرائيل بتلك الأراضى، لم يتعد كلمة واحدة: «لأن..»!!. وجه شلومو جورين، كبير الحاخامات الإسرائيلى، ملاحظة بأن الاحتفاظ بالأراضى المحتلة حسب القوانين الدينية يأخذ الأولوية على مهمة حماية الأرواح. وتعبيرات مثل «ايريتز إسرائيل الغربية» أو «جوديا وساماريا»(*)، التى تستخدم بشكل متكرر ومؤكد، تمثل إحياء الفكر الصهيونى الرجعى الذى يعنى أن «أرض إسرائيل» تضم أيضا أرض الأردن اليوم، وتؤكد على تصميم الزعماء الإسرائيليين ألا يتنازلوا، أبداً، عن الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلتين بشكل غير قانونى.

كلما حاول أحد أن يفهم الوضع فى الشرق الأوسط، كلما حاولت المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة، التى تعمل بالتنسيق مع إسرائيل، على إثارة الضباب حولها. أزالت الحروب الإسرائيلية ضد العرب فى عامى ١٩٦٧ و١٩٨٢ [وما بعدها] صورة داود التى كانت إسرائيل تختبئ وراءها، وتؤكد أنها جولياث فى الشرق الأوسط. لم يعد باستطاعة الحكومة الإسرائيلية أن تتهرب من تدقيق الرأى العام، رغم كل المناعة التى تتمتع بها فى داخل دائرة الرأى العام الأمريكى، بعد أن قامت قواتها المسلحة باسم «الأمن» للمدنيين الإسرائيليين، بارتكاب أقسى عمليات قصف جوى وقعت منذ فيتنام. ووصف السفير الأمريكى فى لبنان، الذى تستخدم حكومته حق النقض (الفيتو) فى مجلس الأمن للاعتراض على مكاسب إسرائيل فى حرب عام ١٩٨٢، وصف هذا القصف العنيف بقوله: «ليس هناك دقة نهائية ضد الأهداف فى الفضاء المفتوح». وقال السفير الكندى إن القصف الإسرائيلى «سيجعل برلين عام ١٩٤٤، تبدو مثل حفل شاى... إنه حقيقة مشهد من رواية الجحيم لدانتى». وقال جون تشانسلر من شبكة إن بى سى: «لقد ظللت أفكر فى قصف مدريد خلال الحرب الأهلية الإسبانية.. إننا اليوم بصدد إسرائيل الإمبريالية.» بالفعل، إن القصف

(*) مصطلحات توراتية يستخدمها الصهاينة لإثبات حق دولة إسرائيل الدينى فى الأراضى المحتلة، ويعنى الأول «أرض إسرائيل»، والثانى جنوب إسرائيل، وشمال الضفة الغربية ـ المترجمة.

الإسرائيلى لبيروت، فى شكله الاجرامى الخالص، بسبب استخدامه المتكرر للقنابل الفوسفورية والعنقودية، يعتبر شكلاً متقدماً لإرهاب الدولة، الذى تجاوز ولبعيد الهجمات على جويرنيكا، وكوفينترى ودريزدن.

منذ نشر هذا الكتاب، لأول مرة فى عام ١٩٨٠، كان رد فعل الحركة الصهيونية إزاء تزايد الانتقادات ضد العنف الإسرائيلى، هستيرياً. فقد قامت إسرائيل بمراقبة ورصد أنشطة هؤلاء الذين انتقدوا إسرائيل فى وسائل الإعلام وفى الكنائس، والجامعات، وقامت بجمع المعلومات السرية عنهم، ووضعهم على القوائم السوداء، مما أعاد الى الأذهان عصر ماكارثى فى الولايات المتحدة؛ كل ذلك كان من بين الترتيب الذى استخدمته المنظمات الصهيونية من أجل خنق أى محاولات لانتقاد إسرائيل[١٠]. أما تعليق صفة معاد للسامية على المنتقدين، فأصبح ذلك الأسلوب الأكثر شيوعاً، والأسهل، من أجل السيطرة على أية مناقشات عقلانية للسياسة العامة الخاصة بإسرائيل، وتخويف أى شخص يحاول أن ينتقدها. وتضم قائمة الضحايا شخصيات متميزة مثل تشارلز بيرسى عضو مجلس الشيوخ السابق، والقس جيسى جاكسون، وجورج بول، نائب وزير الخارجية السابق، وبول فيندلى[١١] عضو الكونجرس السابق، وشخصيات عديدة أخرى أقل شهرة، صارعوا ضد تيارات عصيبة من أجل الاحتفاظ بعملهم وتأمين مستوى معيشتهم. إن مقولة مناحم بيجين الشهيرة التى أطلقها بعد مذابح صبرا وشاتيلا، والتى وصف فيها الانتقادات الموجهة ضد إسرائيل على إنها «قذف دموى ضد الشعب اليهودى»، هى «مثال واضح على التوجه الذى يجعل الانتقاد الصريح لسياسة إسرائيل مثيل لمعاداة السامية، وفى الوقت نفسه تستمر إسرائيل فى إقامة علاقات تجارية وتعاون عسكرى مع أكثر النظم معاداة للسامية فى وسط وجنوب أمريكا»[١٢]. لقد تم الكشف عن حرب إسرائيل ضد الصحفيين فى دعوى قضائية ضد شبكة إن بى سى بعد أن غطت فى تقرير غزو لبنان عام ١٩٨٢[١٣]، وفى اتهاماتها المتكررة بأن الصحفيين الذين يغطون أنباء ضارة بإسرائيل يفعلون ذلك استجابة لـ «تهديدات» العرب فحسب، وبقتل أحد

أعضاء فريق شبكة السى بى إس فى جنوب لبنان، بينما كان يغطى عملية تنفيذ سياسة «القبضة الحديدية» الإسرائيلية (٢١ مارس، ١٩٨٥).

فى ردود هستيرية أخرى على تزايد المعلومات عن الأحداث الحقيقية فى صراع الشرق الأوسط، ظهرت كتابات قام بها خبراء دعاية تخفوا فى شكل طلاب ودارسين. فى كتاب «من زمن سحيق»(١٤) قلبت جوان بيترس التاريخ رأسًا على عقب بعد أن أدعت بان اليهود لم يأخذوا مكان الفلسطينيين الأصليين، الذين فى رأيها لم يكونوا إلا «عمال عرب مهاجرين غير شرعيين، انتقلوا إلى حيث وجدوا عمل». إن الاتهام السخيف، والذى لا يمكن الدفاع عنه، بأنه لم يكن هناك أى عرب فى فلسطين قبل النزوح الصهيونى، يبدو أن المراد به توفير غطاء من الشرعية للجهود القاسية التى ترتكبها إسرائيل من أجل جعل الأسطورة التى تقول إنه «ليس هناك شيئا اسمه فلسطينى» حقيقة مخيفة(١٥).

امتدت جهود الصهيونية لخنق الحوار العام حول التحركات الإسرائيلية إلى الدراسة الحالية. فبعد محاولات ناجحة من المؤسسة الإسرائيلية لمنع نشر يوميات شاريت بالعبرية فى إسرائيل، جرت محاولات من خلال التهديد برفع دعاوى قضائية، وطرق أخرى، من أجل منعنا من نشر هذه الدراسة من اليوميات فى الولايات المتحدة. فى ١١ أبريل عام ١٩٨٠؛ تلقى اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب اتصالاً من مكتب محاماة شهير فى نيويورك يطلب «بأكثر الطرق الممكنة حسمًا» أن نمتنع عن الطبع أو النشر أو نشر مقاطع من اليوميات، بطرق أخرى. وهدد مكتب المحاماة، الذى كان يتحدث باسم عائلة الراحل، موشيه شاريت والناشر الإسرائيلى لليوميات، «برفع دعوى سريعة فى محكمة إقليمية فيدرالية» موجهة اتهاما بانتهاك قوانين حقوق النشر فى الولايات المتحدة.

ومن ثم، تلقى اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب برقية من عائلة شاريت، تؤكد فيها أنها ستحمى بقوة كل الحقوق إنْ قام الاتحاد بنشر «مقاطع أو

كل يوميات موسى شاريت» . كما تلقى مكتبنا اتصالات هاتفية عبر الأطلنطى من الإعلام الإسرائيلى تعبر عن قلق . لقد أثيرت تساؤلات حول حقنا فى النشر، ولكن ليس على أساس الحقوق القانونية التى أشارت إليها عائلة شاريت ومحاميها، بل وجهت إلينا اتهامات هستيرية بمحاولة فضح إسرائيل عبر شاريت بأسلوب مثير . كتبت الصحيفة الإسرائيلية «معاريف» مقالا فى الصفحة الاولى عنوانه : «كارهو إسرائيل فى الولايات المتحدة ترجموا بدون إذن يوميات موسى شاريت» (٤ أبريل ١٩٨٠) . وحسب يورى أفنيرى، عضو الكنيست السابق، فى مقال كتبه فى هاولام هازيه (٢٣ سبتمبر عام ١٩٨٠)، قامت الخارجية الإسرائيلية، فى البداية بمساندة ياكوف ابن موسى شاريت، الذى راجع النص العبرى لليوميات، فى محاولته منع نشر الدراسة التى قامت بها ليفيا روكاش مستندة فيها إلى اليوميات . «ولكنه أصيب بخيبة أمل، عندما لم تلتزم الوزارة بمساندتها له . فقد قرر سياسيو القدس أن الاستمرار فى رفع الدعوى القضائية لوقف نشر الكتاب سيكون خطأ من الدرجة الاولى ؛ حيث إن ذلك سوف يعطيها دعاية كبيرة . »

من الواضح أن متهمينا قاموا، ليس بالحكم مسبقا فحسب على كتابنا قبل نشره وشهروا بالمنظمة والأفراد الذين عملوا فى النشر ؛ ولكنهم أيضًا، افترضوا أن الكتاب الذى نشرناه تحت ترجمته بدون تفويض . وفى الواقع، فان المقاطع التى ترجمناها بالنص من يوميات شاريت، أو أعيد صياغتها بشكل دقيق من اليوميات، تشكل نحو ١٪ فقط من اليوميات . إن الدراسة التى قامت بها روكاش استخدمت فيها مقاطع من يوميات شاريت من أجل تأكيد وتوضيح نظريتها .

إننا لا نشك على الإطلاق بأن التحدى الذى نواجهه هو، فى الأساس، قانونى . ففى النهاية، ما قاله شاريت فى يومياته، والذى اقتصر على القارئ متحدث العبرية، يكشف الكثير ؛ فهو يمثل اتهامًا للصهيونية، موجه من رئيس وزراء إسرائيل الأسبق، ويجرد الكثير من الافتراضات الخاطئة عن الصراع العربى ـ الإسرائيلى . إنها تدحض عقيدة عمرها أكثر من ثلاثين عامًا، وتؤكد

على الحاجة إلى إعادة فحص فكرة «مساندة إسرائيل بلا أى انتقاد» التى تمتعت بها إسرائيل فى الغرب فى سياستها نحو العرب. من هنا، كان احتياج إسرائيل لحظر النشر، لإخفاء معلومات حيوية ومهمة عن الحوار العام حول الشرق الأوسط. إننا لنتذكر بالكثير من الألم محاولات مماثلة من أجل إخفاء وسائل خداعية استخدمتها المؤسسة السياسية والعسكرية الأمريكية فى حربها ضد الفيتناميين. أدت قدرة المؤسسة على إخفاء الحقيقة عن المواطن الأمريكى إلى إطالة أمد حرب فيتنام، وإلى تفاقم المشاكل الاجتماعية، والاقتصادية، والإنسانية، التى خلَّفتها تلك الحرب. سوف نأمل ألا نخفى عن الرأى العام الأمريكى الاستراتيجية المضللة التى انتهجها ديفيد بن جوريون، والتى وثقها موسى شاريت فى سجل دوَّنه يوما بيوم، هذا الرأى العام الذى رأى حياته تتأثر ماديا بالأحداث فى الشرق الأوسط. وهكذا، من وجهة نظرنا، فإن دراسة «إرهاب إسرائيل المقدس» أهمية لا تقبل الشك فى تشكيل سياسة صحية وموضوعية نحو الشرق الأوسط.

نرى أن يوميات شاريت الخاصة تعد مصدرًا تاريخيًا مهما للغاية، من شأنها أن تلقى ضوءًا كاشفًا على سياسة إسرائيل تجاه العالم العربى، خاصة بالنسبة لنا جميعا فى الولايات المتحدة الذين يسهمون كثيرًا فى تطورات الشرق الأوسط، والعواقب المحتملة للصراع. لذلك، فان استخدام المصدر التاريخى لشاريت من أجل إجراء دراسات أكاديمية لا يخالف قوانين حقوق النشر.

برغم ذلك، فقد أخذنا احتياطات خاصة من أجل ضمان أن ما اخترناه من اليوميات تمت ترجمته بدقة، ولم يخرج عن الصياغة العامة، ولم يتم تغييره أو نقضه بأى شئ آخر كتبه شاريت فى مكان آخر فى اليوميات. إننا، أيضًا على يقين بأن تلك المختارات ترضى معايير «الاستخدام العادل» لقانون حق الملكية الأمريكى:

١ ـ إن اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب منظمة غير ربحية وتعليمية، لا تنشر تلك الدراسة من أجل استغلالها، تجاريًا.

٢ ـ إن طبيعة يوميات شاريت ذات صلة مادية بـ «حق المواطنين أن يعرفوا» .

٣ ـ كمية المواد فى هذا المطبوعة التى تتعلق بحق النشر لا تتجاوز ١٪ من كل المنشور .

٤ ـ القيمة الاقتصادية للعمل الأصلى لن تتأثر ، سلبًا ، من جراء المقولات المحدودة التى تضمها تلك الدراسة .

إننا نلجأ الى الحماية التى كفلها التعديل الأول بالدستور الأمريكى ، والذى يضم حرية الكلمة والصحافة و«حق المواطنين فى المعرفة» . لقد تم فتح ملفات البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) إلى العامة بعد أن ظلت فى أرشيف البيروقراطية العسكرية الأمريكى ، لا يلاحظها أحد . إن الطبيعة الخطيرة لمحتويات تلك الملفات كانت ، وما تزال ، تستوجب الكشف عنها قبل زمن طويل . الكشف عن يوميات شاريت يجب ألا يخضع لنفس «الحبس» البيروقراطى ، أو أن بقى بعيدا عن قراء الإنجليزية ، حتى لا تلغى فائدتها كعامل أساسى فى سياسة الشرق الأوسط .

ن . ع .

أ . خ . ج . أ . ع .

نوفمبر ١٩٨٥

obeikandl.com

حواشى التمهيد :

(١) موسى شاريت، يومان ايشى (اليوميات الخاصة)، الناشر ياكوف شاريت (تل أبيب : معاريف ١٩٧٩).

(٢) على سبيل المثال، مع حلول تقاعده فى مايو عام ١٩٨٥، كشف صمويل لويس سفير أمريكا فى إسرائيل انه فى ديسمبر ١٩٨١ قام آرييل شارون وزير الدفاع الإسرائيلى بإعطاء موجز عن خططه الخاصة بالغزو الوشيك إلى فيليب حبيب المبعوث الأمريكى (واشنطن بوست، ٢٤ مايو ١٩٨٥)

(٣) انظر على سبيل المثال، توماس ستوفار، «إسرائيل تقيس ثمن السلام : المال والمياه»، كريستيان ساينس مونيتور، ١٣ يناير ١٩٨٢، و«احتياجات إسرائيل من المياه قد تؤدى إلى تآكل الطريق إلى السلام فى المنطقة»، كريستيان ساينس مونيتور ٢٠ يناير ١٩٨٢؛ جون كولى، «سوريا تربط الانسحاب بضمانات الحصول على المياه»، واشنطن بوست ٨ يونيه ١٩٨٣؛ وليزلى شميدا «مطالب إسرائيل من المياه»، لينك، ١٧، ٤ (نوفمبر ١٩٩٤).

(٤) كلمة نقلتها صحيفتا «النهار» و«السفير» البيروتيتان، ٢٢ أبريل ١٩٧٩ .

(٥) مقولة نقلها «اتحاد الانعزاليين الإسرائيليين ظاهرة تهدد وحدة لبنان»، وقدمت فى المؤتمر العالمى من اجل التضامن مع الشعب اللبنانى، باريس ١٦ - ١٨ يونية ١٩٨٠ (بيروت : مكتب الإعلام التابع للحركة الوطنية اللبنانية، ١٩٨٠)، ٩ .

(٦) جوناثان رندال، الذهاب إلى نهاية الطريق : زعماء الحرب المسيحيين، المغامرون الإسرائيليون، والحرب فى لبنان (نيويورك : دار نشر فايكينج، ١٩٨٣)، ١٠-١١ .

(٧) فى نهاية الستينيات والسبعينيات، حوّل القصف الإسرائيلى لمدن السويس والإسماعيلية وبورسعيد المصرية إلى مدن أشباح . وخلال الفترة نفسها، قامت إسرائيل بغارات جوية متكررة ضد سوريا . وبعد قتل ١١ رياضياً إسرائيلياً فى أولمبياد ميونيخ فى عام ١٩٧٢،

قتل على الأقل ٢٠٠ شخص، كلهم تقريبا من المدنيين، فى غارات «انتقامية» إسرائيلية فى سوريا تحديداً. ديفيد هيرست، البندقية وغصن الزيتون (لندن: فوتورا، ١٩٧٨)، ٢٥١ـ٢٥٢.

(٨) اقرأ مقالات يورام بيرى فى دافار، ١١ مايو ١٩٨٤، ياكوف راهاميم فى معاريف، ١٤ ديسمبر ١٩٨٣، ومارى كورتيوس، «الحوار الإسرائيلى: هل يجب أن نعفوا عن المستوطنين؟» كريستيان ساينس مونيتور، ١٥ يوليه ١٩٨٥.

(٩) اقرأ على سبيل المثال، كريستيان ساينس مونيتور، ١٠ مايو ١٩٨٤.

(١٠) فى مؤتمره العام السنوى فى عام ١٩٨٤، دعا اتحاد دراسات الشرق الأوسط، لجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية (أيباك) ورابطة مناهضة تشويه السمعة (بناى بريت) إلى «إنكار والامتناع عن» وضع الممارسات ضد المثقفين والطلاب على القائمة السوداء. وللحصول على معلومات إضافية عن الجهود التى يبذلها مؤيدو إسرائيل من أجل إلغاء فتح الحوار. انظر على سبيل المثال، نصير العارورى، «الشرق الأوسط فى الجامعات الأمريكية»، لينك، ١٨، ٢ (مايو يونيه ١٩٨٥).

(١١) فيندلى، عضو مجلس الشيوخ، وثق التأثير الموسع للجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية (أيباك) فى «من يجرؤ على الاعتراف؟! (وستبورت، كونتيكت: لورانس هيل، ١٩٨٥).

(١٢) من أجل الحصول على تحاليل مفصلة لعلاقة إسرائيل مع نظم أمريكا الوسطى، اقرأ ميلتون جميل ومارجو جوتيرز «إنه ليس سرا: العسكرية الإسرائيلية، التورط فى أمريكا الوسطى»، تنشر قريبا فى اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب. اقرأ أيضا إسرائيل شاحاك «الدور العالمى: أسلحة من أجل القمع» (بلمونت، ماساشوستس: اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب، ١٩٨٢)

(١٣) فى مايو ١٩٩٤، قامت منظمة موالية لإسرائيل تدعى «أمريكيون من أجل إسرائيل آمنة» بتقديم التماس إلى لجنة الاتصالات الفيدرالية، من أجل رفض تجديد تراخيص تشغيل شبكة «دبليو إن بى سى ـ تى فى» فى نيويورك، وسبعة أفرع أخرى لشبكة إن بى سى، لاتهامها «بتقديم تغطية من جانب واحد عن الحرب فى لبنان. انظر كريستيان ساينس مونيتور، ١٤ مايو ١٩٨٤. «أمريكيون من أجل إسرائيل آمنة» فوضت البروفيسور إدوارد إلكساندر ليكت دراسة نشرت تحت عنوان «حرب إن بى سى فى لبنان: المرآة المشوهة» ١٩٨٣.

obeikandl.com

(١٤) كمثال على ذلك كتاب زئيف شافيتس، «رؤية مزدوجة: كيف تشوه الصحافة الإعلام الامريكى، من ميدل لاست» (نيويورك: ويليام مورو، ١٩٨٣). شافيتس رئيس سابق لمكتب الإعلام الإسرائيلى فى القدس. ولقد نفى الصحفيون الأمريكيون بشدة تلك الاتهامات. (انظر على سبيل المثال تشارلز جلاس، مراسل شبكة ايه بى سى فى بيروت، فى تحديث سى بى جيه [نشرتها لجنة حماية الصحفيين سى بى جيه]، نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٤).

(١٥) نيويورك: هاربر، ورو، ١٩٨٤، العروض النقدية لكتاب بيتر، انظر نورمان فينكلشتاين، فى «فى تلك الفترات» ٥ ١١ سبتمبر ١٩٨٤، ١٢-١٣ محمد حلاج، «من زمن سحيق: إحياء الأسطورة،» لينك، ١٨، ١ (يناير مارس ١٩٨٥)؛ وايان جيلمور وديفيد جيلمور، فى مجلة دراسات عربية ربع سنوية، ٧، ٢ ٣ (ربيع/ صيف ١٩٨٥)، ١٨١-١٩٥.

لجنة إصدارات اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب، نوفمبر ١٩٨٥

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

قام الدعم الشعبى الذى حصلت عليه إسرائيل خلال الربع الأخير من القرن العشرين على أساس عدد من الأساطير، أكثر تلك الأساطير تكرارًا كانت تلك الخاصة بأمن إسرائيل. وتحت زعم أن تهديدات خطيرة ودائمة يواجهها بقاء المجتمع اليهودى فى فلسطين، يتم تغذية تلك الأسطورة بعناية شديدة من أجل إثارة صور مخيفة لدى الرأى العام لسماح، بل ولتشجيع، استخدام كميات كبيرة من الأموال العامة لدعم إسرائيل عسكريًا واقتصاديًا. ويبقى «أمن إسرائيل» هو الذريعة الرسمية التى من خلالها تنكر، ليس فقط إسرائيل، بل أيضًا الولايات المتحدة، حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره فى وطنه. وطوال الثلاثين عامًا الماضية، تم قبول تلك الذريعة كتفسير شرعى لانتهاك إسرائيل للقرارات الدولية التى تدعو إلى عودة الشعب الفلسطينى إلى وطنه. وخلال الثلاث عشر سنة الماضية، تم السماح لإسرائيل بأن تحتج بأمنها لتبرير رفضها الانسحاب من الأراضى العربية والفلسطينية التى احتلتها فى عام ١٩٦٧.

ولا يزال الأمن هو المبرر الذى تقدمه الحكومات الإسرائيلية المتتالية للمذابح التى ترتكبها على نطاق واسع، ضد المدنيين فى لبنان، ولمصادرة الأرض العربية من أجل إقامة مستوطنات يهودية فى الأراضى المحتلة، ولترحيل وللاعتقالات السياسية التعسفية. ورغم أن أمن الشعوب العربية فى كل المنطقة ظل مهددا بشكل متكرر، خلال تلك السنوات من خلال حروب مفتوحة وسرية، ومن خلال مؤامرات إرهابية ومخططات تخريبية، ورغم أن قرارات الأمم المتحدة

تطالب بإقامة حدود آمنة لكل الدول فى المنطقة، فإنه حتى الآن، ظل أمن إسرائيل هو الذى يقع فى قلب النقاش الدولى.

تبين استمرارية أسطورة «أمن إسرائيل» أن هناك اعتقادا شعبيا كبيرا فيما يمكن أن نطلق عليه الالتزام العربى بإزالة الدولة اليهودية. ومعظم الكتاب الغربيين الكبار الذين يقدمون تلك القضية يستمدون حججهم من الرواية الصهيونية لأحداث نهاية الأربعينيات، عندما نشأت دولة إسرائيل، وفى منتصف الخمسينيات، عندما تولى عبد الناصر السلطة. وينطلق الكتاب من تلك الحجج من أجل تقديم ما أطلق عليه صراع إسرائيل من أجل أمنها وبقاءها، كقضية أخلاقية. وفى أحيان كثيرة يقوم الإعلام بتزويد السياسيين، الذين لديهم أسبابًا أخرى لمساندة إسرائيل سياسيًا وعسكريًا، بالقضية المناسبة للالتزام المعنوى الغربى تجاه إسرائيل.

فى معظم الأحيان؛ يتم تجاهل الصيغ الأخرى التى تستخدم فى تناول الموضوع. فعلى سبيل المثال، لم يلاحظ أحد كثيرا ما كشف عنه ناحوم جولدمان، مؤخرا (لوموند دبلوماتيك، أغسطس ١٩٧٩). فقد اتهم جولدمان، الذى رأس، لأكثر من ثلاثين عامًا المؤتمر اليهودى العالمى الموالى للصهيونية، بأنه لم يتم استشارة العرب فيما يخص تقسيم فلسطين فى عام ١٩٤٧، كما أن رغبتهم فى التفاوض بشأن حل وسط سياسى كان من الممكن من خلاله تجنب حرب عام ١٩٤٨، تم استبعادها وتقليل شأنها من قبل بن جوريون، قبل مايو ١٩٤٨.

تقدم يوميات موسى شاريت التى نشرت مؤخرًا (يومان ايشى، تل أبيب: معاريف، ١٩٧٩، بالعبرية) مساهمة حاسمة، وذات موثوقية فى عملية إزالة الغموض عن أسطورة أمن إسرائيل، وسياساتها الخاصة بالأمن. فى الفترة ما بين عام ١٩٣٣ و١٩٤٨، قاد شاريت العلاقات الدولية للحركة الصهيونية، بصفته رئيس القسم السياسى فى الوكالة اليهودية، وفى الفترة من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦، تولى شاريت منصب وزير خارجية إسرائيل. فى عامى ١٩٥٤ و١٩٥٥

تولى منصب رئيس الوزراء أيضًا . تتضمن الأوراق التالية مقتطفات من يوميات شاريت التى تظهر النقاط التالية :

١ ـ إن المؤسسة السياسية والعسكرية الإسرائيلية لم تعتقد قط ، وبشكل جاد ، فى وجود خطر عربى على الوجود الإسرائيلى . بل بالعكس ، فقد سعت وطبقت كل الوسائل من أجل تفاقم معضلة النظم العربية بعد حرب عام ١٩٤٨ . لقد كانت الحكومات العربية مترددة فى الدخول فى أى مواجهة عسكرية مع إسرائيل ، ولكن من أجل البقاء ، كان عليها أن تستعرض على شعوبها وعلى الفلسطينيين الذين نفوا إلى بلاد تلك الحكومات ، بعض رد الفعل على سياسات إسرائيل العدوانية وأعمال التحرش المستمرة . بمعنى آخر ، كان الخطر العربى أسطورة اخترعتها إسرائيل لأسباب داخلية ، لديها وداخل الدول العربية ، ولم تستطع النظم العربية إنكارها ، تمامًا ، رغم أنها كانت ، على الدوام فى خوف من استعدادات إسرائيل لحرب جديدة .

٢ ـ كان هدف المؤسسة السياسية والعسكرية الإسرائيلية هو دفع الدول العربية إلى مواجهة عسكرية ، كان الزعماء الإسرائيليين على يقين بأنهم سينتصرون فيها . كان الهدف من تلك المواجهة هو تغيير توازن القوى فى المنطقة بشكل جذرى ، وتحويل الدولة الصهيونية إلى قوة كبرى فى الشرق الأوسط .

٣ ـ وحتى يمكن تحقيق تلك الأهداف الاستراتيجية ، استخدمت إسرائيل التكتيكات التالية :

(أ) تستهدف العمليات العسكرية واسعة ومتوسطة النطاق المواطنين المدنيين عبر خطوط الهدنة ، خاصة فى الأراضى الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، والتى أصبحت بعد ذلك تابعة للأردن بالنسبة للأولى ومصر بالنسبة للثانية . لتلك العمليات سببان : إرهاب المواطنين ، وخلق حالة من عدم الاستقرار الدائم يصنع توترًا بين الحكومات العربية وشعوبها ، التى شعرت بأنها لا تتمتع بشكل ملائم بالحماية من الهجمات الإسرائيلية .

(ب) عمليات عسكرية ضد مواقع عسكرية عربية، عند مناطق الحدود من أجل إضعاف معنويات الجيوش، وتعميق عدم الاستقرار، الذى أصاب النظم من داخل كياناتهم العسكرية.

(جـ) عمليات إرهابية سرية فى عمق العالم العربى، استخدمت من أجل التجسس وخلق الخوف والتوتر وعدم استقرار.

٤ ـ من أجل تحقيق أهدافها الاستراتيجية، عليها استخدام الوسائل التالية:

(أ) احتلال أراض جديدة بالحرب. برغم أن اتفاقية الهدنة لعامى ١٩٤٩ـ ١٩٥٠ خصصت لإسرائيل مساحة من الأراضى أكبر من المساحة التى خصصتها خطة التقسيم التى قدمتها الأمم المتحدة بالثلث، إلا أن الحكام الإسرائيليين لا يزالون غير راضين عن حجم الدولة، التى تعهدوا باحترام حدودها على المستوى الدولى. لقد سعوا إلى استعادة، على الأقل، حدود فلسطين المنتدبة. اعتبر قادة إسرائيل بأن مساحة أرضها عامل حيوى فى تحولها إلى قوة إقليمية.

(ب) جهود سياسية وعسكرية تهدف إلى تصفية كل مطالب العرب والفلسطينيين، وذلك من خلال تشتيت اللاجئين الفلسطينيين من حرب ١٩٤٧-٤٩ فى مناطق بعيدة فى العالم العربى، وكذلك خارج العالم العربى[١].

(جـ) عمليات تخريبية، تهدف إلى زعزعة العالم العربى، وهزيمة الحركة القومية العربية، وخلق نظم تابعة تنجذب إلى قوة إسرائيل الإقليمية.

يوجه توثيق شاريت النقاط السابقة فى يومياته ضربة قاتلة إلى عدد من التفسيرات المهمة التى لاتزال تقدم على إنها حقائق تاريخية. من بين تلك التفسيرات ما يلى:

١ ـ إلى اليوم، لازال غالبية الدارسين والمحللين يذكرون تأميم قناة السويس، كمبرر رئيسى لحرب ١٩٥٦، وهنا يكمن التلميح بأن الهجوم البريطانى والفرنسى على مصر قدم لإسرائيل فرصة لوضع حد لهجمات الفدائيين التى

كانت تنطلق عبر خطوط الهدنة، ولمحاسبة نظام عبد الناصر، الذى قاموا بتحميله مسئولية تلك الهجمات.

لكن ما يقوله لنا شاريت هو أن حربًا كبيرة ضد مصر تستهدف احتلال أراضى غزة وسيناء كانت على أجندة القيادات الإسرائيلية، على الأقل منذ خريف عام ١٩٥٣، أى نحو عام قبل قيام عبد الناصر بإخراج محمد نجيب من السلطة، ودعم زعامته (عبد الناصر). فى تلك الأثناء؛ اتفق الجميع على أن الظروف الدولية لشن مثل تلك الحرب سوف تنضج خلال ثلاث سنوات. واعتبر الهجوم العسكرى الإسرائيلى على غزة فى فبراير ١٩٥٥، كإعلان مسبق للحرب. وبعد شهرين؛ واجه قرار الحكومة ببدء الحرب لاحتلال قطاع غزة معارضة قوية من وزير الخارجية، الذى قرر مؤيدو سياسة الحرب، وعلى رأسهم بن جوريون، تصفيته، سياسيًا. وفى حالة ما إذا لم يظهر احتمال هجوم ثلاثى فى الأفق، فى الأشهر التالية، لكانت إسرائيل هاجمت مصر حسب خطتها الخاصة، بل بموافقة الولايات المتحدة.

٢ ـ احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة فى عام ١٩٦٧ بدا، ولا يزال هذا المفهوم سائدًا، على أنه عملية دفاعية إسرائيلية فى مواجهة التهديدات العربية. ولكن يوميات شاريت تقدم أدلة لا تقبل الشك على أن احتلال قطاع غزة وأيضا الضفة الغربية كان جزءا من خطط إسرائيل منذ بداية الخمسينيات. ولقد تم إبلاغ الزعامات الصهيونية الأمريكية بتلك الخطط، فى عام ١٩٥٤، وفى عام ١٩٥٥؛ تمت التضحية بحياة يهود وعرب فى سلسلة من الهجمات الاستفزازية، التى استغلت من أجل خلق مبرر لاحتلال الأراضى الأردنية. ولكن العائق الوحيد الذى أدى الى تأجيل عملية الاحتلال كان الوجود البريطانى القائم فى الأردن لحماية العرش الهاشمى.

٣ ـ لا تزال إسرائيل إلى الآن تبرر استمرار هجماتها العنيفة فى لبنان بما تسميه «أمنها». وبشكل خاص، حاول المتحدثون الرسميون الإسرائيليون، الذين تردد مقولاتهم الصحافة الغربية، شرح التدخل الشامل لإسرائيل فى لبنان والأحداث اللبنانية بشكل عام، باستخدام الذرائع التاريخية التالية:

(أ) فى الصراع الدائر بين المسيحيين والمسلمين، وهو صراع كان سيتفجر حتى بدون تدخل خارجى، اقتصر دور إسرائيل على حماية الأقلية المسيحية.

(ب) وجود المقاومة الفلسطينية، أو كما تصفها إسرائيل، الإرهاب الفلسطينى فى تلك الدولة يتطلب تدخل إسرائيلى.

إلا أن يوميات شاريت تقدم الوثائق الكاملة حول كيفية قيام بن جوريون فى عام ١٩٥٤ بتطوير الخطط الجهنمية لـ «تحويل لبنان إلى المسيحية»، أو بمعنى آخر، اختراع وخلق من لا شىء، الصراع بين الطوائف اللبنانية، وحول كيف قامت إسرائيل بتطوير برنامج عملى مفصَّل لتقسيم وإخضاع هذه الدولة لإسرائيل منذ أكثر من ١٥ عاماً قبل أن يتحول الوجود الفلسطينى فى لبنان إلى عامل سياسى.

لخص الرجل الثانى فى الدولة الصهيونية، فى ذلك الوقت، استخدام الإرهاب والعدوان من أجل استفزاز أو تشكيل مظهر لتهديد عربى ضد الوجود الإسرائيلى:

«لقد ظللت أتأمل السلسلة الطويلة من الأحداث الزائفة والحروب التى اخترعناها، ومن كل تلك الإشتباكات التى حرضنا عليها، والتى كلفتنا الكثير من الدماء، ومن انتهاكات القانون التى قام بها رجالنا، والتى أدت كلها إلى كوارث خطيرة وحددت شكل مسيرة الأحداث كلها وأسهمت فى أزمة الأمن».

قبل ذلك بأسبوع، قام موسى ديان، رئيس الأركان، فى ذلك الوقت، بشرح الأسباب التى من أجلها كانت إسرائيل بحاجة إلى رفض أى تسويات أمنية للحدود تقدمها إما الدول العربية المجاورة، أو الأمم المتحدة، وأيضا الضمانات الرسمية للأمن التى اقترحتها الولايات المتحدة. وتوقع ديان بأن مثل تلك الضمانات، قد «تقيد يد إسرائيل». ومن المتوقع أن ذلك سيجعل من الصعب، أو من المستحيل، تبرير هذه الهجمات والغارات عبر خطوط وقف إطلاق النار التى تحولت خلال منتصف الخمسينات إلى تعبير ألطف وهو «عمليات انتقامية».
عن تلك العمليات، قال ديان:

«إنها مادة حيوية بالنسبة لنا. فهى. . . تساعدنا على الحفاظ على توتر عال بين شعبنا والجيش. . . فمن أجل أن يذهب شبابنا إلى النقب، يجب أن نصيح أنها فى خطر». (٢٦ مايو ١٩٥٥، ١١٠٢).

لقد كان من المهم تشكيل عقلية تحت الحصار فى المجتمع الإسرائيلى من أجل تكملة الأسطورة المصطنعة مسبقا عن وجود تهديد عربى. كان من المقصود أن يغذى العنصران بعضهما البعض. ورغم أن المجتمع الإسرائيلى واجه خطر تفسخه اجتماعيًا وثقافيًا، تحت وطأة الهجرة الجماعية لليهود الآسيويين ومن شمال أفريقيا إلى المجتمع الذى كان منسجمًا عقائديًا قبل إقامة الدولة، لم يكن الهدف من عقلية الحصار الوصول إلى تماسك دفاعى فى المجتمع اليهودى، ولكنه كان أساسا، من أجل «استئصال الكوابح الأخلاقية»، وهى مسألة مطلوبة حتى يمكن للمجتمع أن يساند بالكامل النظام الذى مثل تحولاً كاملاً عن ميثاق الأخلاق الجماعى، الذى قام عليه تعليمه الرسمى، والذى من خلاله، كان من المفروض أن يستمد قوته الحيوية. بالطبع، هذا الميثاق الأخلاقى لم يحترم فى الماضى أيضا. لقد قام الصهاينة بممارسة الهجمات والإرهاب قبل وخلال حرب عام ١٩٤٧ ـ ٤٨، وفيما يلى شهادة جندى شارك فى احتلال قرية الدوليمة الفلسطينية، فى عام ١٩٤٨، وهى مجرد الشهادة الأخيرة التى تم الكشف عنها من بين سلسلة طويلة من الأدلة:

«قتلت ما بين ٨٠ إلى مئة عربى، من النساء والأطفال. لقتل الأطفال، كانوا يقومون بتحطيم رؤوسهم بالعصى. لم يكن هناك منزلاً واحدًا بلا جثث. تم دفع رجال ونساء القرى إلى المنازل بدون طعام ولا ماء. ثم جاء المخربون لكى يفجِّروا المنازل بالديناميت. أمر قائدنا أحد الجنود بإحضار امرأتين إلى المنزل الذى كان على وشك تفجيره. . . جندى آخر افتخر بأنه اغتصب امرأة عربية قبل إطلاق النار عليها وقتلها. أمر الجنود امرأة عربية أخرى معها جنينها، بتنظيف المكان لمدة يومين، وبعد ذلك أطلقوا النار عليها وعلى طفلها. القادة المتعلمون والذين يتصرفون بأخلاق، وكانوا يعتبرون «أفضل الرجال». . . أصبحوا قتلة، وذلك

ليس خلال ضراوة المعارك، ولكن كمنهج طرد وإبادة. فكلما كان هناك عرب أقل، كلما كان ذلك أفضل». (نص فى «دافار»، ٩ يونيه ١٩٧٩).

لكن هذه الروايات لم تتسلل داخل المجتمع العام. بل بالعكس، لقد تم اعتبار حرب التحرير من الطقوس، انتصار معجزة للحق (اليهودى) ضد القوة (العرب). لقد وصفت المؤسسة الحاكمة من حزب العمل دير ياسين (وصف محرف) وكأنها قضية منفصلة، بل مدانة، نتاج قسوة جماعة إرجون الصغيرة. وقامت كل كتب المدارس والكتب التاريخية وكتب الآداب المختارة والإعلام بتمجيد، بشكل رقيق، الصفة الأخلاقية للحرب، «نقاء الأسلحة» التى استخدمها الجيش، الروح اليهودية التى تشكل أساس الدولة.

من هذا المنطلق، كان الأمن، أو السياسة الانتقامية فى الخمسينيات، نقلة نوعية. لقد كان الزعماء الإسرائيليون أنفسهم يعتبرون أن التصميمات الاستراتيجية، غير منطقية على الإطلاق، فيما يتعلق بالواقع الإقليمى، وخاصة فيما يتعلق بالظروف الدولية التى التزمت بها إسرائيل رسميًا. لذلك، فقد كان من الضرورى الحصول على المساندة الكاملة داخل البلاد، أى المساندة المعنوية، بل الغريزية، بدون اللجوء إلى العقلانية وبدون تغطية أخلاقية. إن الهدف الاستراتيجى، مثل تحويل إسرائيل الى قوة إقليمية، يفترض مسبقا وحتميًا، استخدام العنف المفتوح على نطاق واسع، ولا يمكن الزعم، حتى ولو أسطوريًا، أن ذلك يمكن أن يتحقق على أسس العقيدة الأولية للتفوق الأخلاقى، التى كان من الضرورى استبدالها بأخرى جديدة. الآن يجب تمجيد الإرهاب و«الانتقام» على أساس إنها القيم الجديدة «الأخلاقية... بل والمقدسة» للمجتمع الإسرائيلى. إن الفكر العسكرى الذى بعث من جديد لم يعد يحتاج إلى بريق مثالى واشتراكى لبايماش: الشعار العسكرى، الآن هو وحدة ١٠١، بقيادة آرييل شارون.

لم تحدث عملية التحول الثقافى، أكثر من التحول السياسى، بطريقة آلية. فى الواقع، كما أقر ديان فى الكلمات التى نشرناها مسبقا، كان لا بد من إثارة الكثير

openkanan.com

من القلق لتشجيعها. كما كان لا بد من التضحية بأرواح يهودية من أجل خلق الاستفزاز لتبرير العمليات الانتقامية التالية، خاصة فى تلك الأوقات حينما نجحت الحكومات العربية فى السيطرة على ردود فعل سكان الحدود العرب الغاضبين الذين تعرضوا للاعتداء. ولقد تم توجيه دعاية يومية مستمرة، تحت سيطرة الرقابة، من أجل تغذية عقلية السكان الإسرائيليين بصور تعكس توحش العدو. وأظهرت صور أخرى أن التسويات الأمنية التى يتم التفاوض بشأنها مع العدو، يمكن أن تفسر على أنها دليل قاتل على ضعف الإسرائيليين.

كانت النقطة الأخيرة فى تلك العملية، والتى تابعها شاريت فى الخمسينات، هى انتخاب مناحم بيجين رئيسا للوزراء فى عام ١٩٧٧. لقد كانت رؤية شاريت الصهيونية على أنها بديل سياسى/ ديبلوماسى لاستراتيجية الإرهاب العسكرية، التى وضعها بن جوريون وتابعوه. ولقد فكر أن ذلك من شأنه أن يقوى تأسيس الدولة اليهودية فى فلسطين، وربما يؤدى إلى توسيعها فى المستقبل، بدون تقديم تنازلات مهمة إلى العالم العربى المحيط بها. وكان شاريت على قناعة بأن أهدافه يمكن أن تتحقق بدون إثارة قلق الغرب. وبالفعل، كان يرى إمكانية تنسيق الخطط الإسرائيلية مع الغرب. لقد رأى، بشكل واضح، المنطق وراء عقيدة الأمن الإسرائيلية بأنها فاشستية، وقام بتقديم تقييم حقيقى لعواقبها، من الفساد الأخلاقى، على المستوى الداخلى، وتزايد العنف على المستوى الإقليمى. ولقد عارضها، وكان بلا شك أحد أهم ضحاياها. فقد كانت هزيمته مسألة لا يمكن تجنبها، لأن انشقاقه عن الاستراتيجية كان فى الكم، أكثر مما كان فى النوعية: لقد تم على أساس الوسائل أكثر من الجوهر؛ على أساس، على سبيل المثال، عدد ضحايا عملية عسكرية محددة. ولكن انشقاقه مبهم فى مسألة العقيدة التى تقف وراء مثل تلك العمليات. ولكن فى ضوء إيمانه القاطع بالصهيونية، كان شاريت مبهوراً، بنفس درجة نفوره من الاستراتيجية، وكان غيورا على نجاحها الفورى بدرجة قلقة لنا على عواقبها على المدى الطويل وردود فعلها دوليّا على الصهيونية وإسرائيل.

اعتبر تصفية وجوده المعارض مسألة ضرورية من أجل تحقيق مخطط الزعامة الإسرائيلية السياسية والعسكرية الإجرامية والمصابة بجنون العظمة. نتج ضعفه الداخلى من أمله العقلانى فى أن يمنع الغرب، الذى يطلق على نفسه «الليبرالى»، تطبيق مخططات خصومه [من قادة إسرائيل]. لقد اعتمد على الغرب بدلا من صحوة ضمير محلية وشعبية، والتى كان يملك السلطة والمعلومات لأن يثيرها، ولكن كونه صهيونيا، لم يستطع، ولم يجرؤ على ذلك.

على العكس، فبرغم قلقه وعذابه، انتهى به الأمر، بشكل أو بآخر، إلى التعاون مع خصومه، ومع تلك العناصر فى المؤسسة الأمنية التى تآمرت ضده، فى تصنيع ونشر صيغ مشوهة ومقصودة للأحداث والسياسات، للاستهلاك المحلى والدولى.

من المنظور التاريخى، فإن الصورة التى رسمها شاريت لنفسه، كما تظهر من يومياته الخاصة، تفسر لماذا لم يكن ممكنًا أبدًا ظهور صهيونية، يمكن أن نصفها بأنها معتدلة، وكيف تنتهى دائمًا بالفشل، كما كان الحال دائما، كل محاولة لتحرير الصهيونية من الداخل. هناك منطق واضح ومتناسق، يتدفق عبر تاريخ الحقب الثلاثة الماضية. فى بداية الخمسينيات، وضعت الأسس من أجل بناء دولة تشربت بمبادئ الإرهاب المقدس ضد المجتمعات العربية التى تحيط بها، وعلى مشارف الثمانينيات، الدولة نفسها أدانها مثقفوها لأول مرة واتهموها بأنها وقعت فى قبضة صارمة وقاتلة للفاشية.

قد يكون ذلك سببا آخر، قد يجعل الصحفيين، والدارسين، والمحللين الغربيين محرجين أمام الوثيقة التالية. هؤلاء المعلقون لا يزالون مصرين على رفع الالتزام الأخلاقى المزعوم للغرب لتأييد ذلك الذى لا يزالون يعملون على تصويره بأنه أمن إسرائيل. فى هذا المعنى، تعتبر يوميات شاريت مدمرة للدعاية الصهيونية، كما كانت أوراق البنتاجون، فيما يخص الهجوم الأمريكى على فيتنام.